على الرمل الصافي اللامع، ووصف فراغ ذلك الأثر وشكله ورصد حركة طيور البحر وغير ذلك[٤٣].

إن «جرييه» في هذه القصة - إذ يحتفي بالكائنات الجامدة الموضوعية - يجرد العالم الخارجي من كل المعاني والعلاقات التي تربطه بالإنسان، ويصور هذا الإنسان وجهاً لوجه أمام العالم الرهيب المتجسد في الأشياء المستقلة بذاتها. إن الأطفال الثلاثة الذين يسيرون على «الشاطىء» الكبير في صمت وقلق، يرمزون إلى الإنسان الضعيف الذي تكتنفه الأشياء العملاقة القوية المبهمة التي تتحداه وترعبه.

ولم يقف الأمر عند الاهتمام بالأشياء المهملة والموصوفات الخارجية، بل تعداه إلى الأحداث الغريبة التي تفقد معانيها، كما نرى في «القصر»[٤٤] لفرانتس كافكا، أو «في انتظار جودو»[٤٥] لصمويل بيكيت، أو «البحث عن الزمن المفقود»[٤٦] لمارسيل بروست. إن كل هذه الأعمال الأدبية تمثل الإنسان الذي أصبح غريباً في سلوكه وتصرفاته، غريباً عن الأشياء المحيطة به، غريباً عن الآخرين، لا يرى في الحياة أي معنى.

* * *

مهما يكن من أمر، فإننا لا نجزم بتأثر اللا إنسانيين أو العبثيين بمذهب الطبيعيين، وذلك لأن أولئك مروا بتجربة قاسية بعد الحروب الدامية في العصر الحديث وما تركته من يأس على الأدباء، فاتجهوا تحت تأثير هذه التجربة تلك الاتجاهات المغرقة في القنوط والتشاؤم. أما الطبيعيون فإنه سبق لنا أن تحدثنا عن العوامل التي وجهتهم في كتاباتهم، وهي عوامل تتعلق خاصة بازدهار البحث في العلوم الطبيعية والطبية، وبازدهار الفلسفة الوضعية. ومع ذلك فإننا لا نستطيع أن نتغاضى عن ذلك الشبه الكبير بين جمود الحياة عند الطبيعيين وجمودها عند ا لعبثيين، حسب ما رأينا، وهو الشبه الذي ما كان له أن يبدو قوياً إلى هذه الدرجة لولا تمهيدات الطبيعيين التي تربطهم من هذه الناحية بالعبثيين.